نموذج "فلاديمير بروب

ويعد "فلاديمير بروب" Vladimir Propp من بين الباحثين الأوائل الذين تناولوا موضوع السرد بالدراسة من خلال جرد شامل للقصص العجيب, وذلك في كتابه "مورفولوجيا الحكاية العجيبة" Morphologie du conte وإن كانت دراسته دراسة بنيوية إلا أنه حاول من خلال ذلك وضع نموذج عاملي لها.

وحاول في كتابه "مورفولوجيا القصة العجيبة" أن يبرهن عل صحة تصوره للحكاية في المعطى الشفوي التقليدي رغم أنه " لم يكن باحثا تجريديا للسانيات أو السيميائية؛ وذلك من خلال الدراسات التي صدرت من بعده بثلاثين سنة من طرف بعض الباحثين الغربيين أمثال لفي ستروس وبارت وغريماس".

وتعتبر دراسة بنية الحكاية هي مجال البحث عند "بروب"؛ مقتصرة في ذلك على الحكاية الشعبية والخرافة La prose؛ وذلك من خلال تلك الملاحظات والعمل الإحصائي والمقارنات التي قام بها فيما يخص الحكايات العجيبة، فخرج منها بنتيجة

مفادها أن الموضوع يبقى واحدا "على الرغم من تغير الشخوص والظروف...وأن تتابع الأفعال يخضع دائما للرسم نفسه...وتبدو في الترتيب نفسه".

ومن هنا قام بضبط دقيق للوظائف في الحكاية, وتحديد دوائر الفعل التي صاغها في شكل قانون هو بمثابة نموذج عاملي للحكاية, ويرتكز على الفعل والفاعل في حركية غير قابلة للفصل حيث يحتل الفعل المرتبة الأولى ويعين الفاعل له في المرتبة الثانية، وتبعا لذلك حاول "بروب" أن يوضح المنهجية الجديدة في دراسته، والتي تقوم على الوظائف والتحولات؛ المسماة وظيفة Fonction, " ونعني بالوظيفة ما تقوم به الشخصية من فعل محدد من منظور دلالته في سير الحبكة" وشكلت الوظيفة أساس مبدإ التحليل عنده, والتي "سجل عنها لفي شتراوس ملاحظات تتعلق بعدم إمكانية تحديد بعض جزئياتها".

وتعد الوظائف بمثابة الأحداث الجوهرية في الحكاية، وعددها محدود وأن العلاقة بينها تخضع لانتظام زمني من جهة تتابعها، وارتباط منطقي من جهة نشوئها، "وهذه الضرورة المنطقية هي التي تعيد كل وضيفة إلى الوظيفة التي سبقتها".

وتتوزع تلك الوظائف وعددها واحد وثلاثون (31) وظيفة؛ كالغياب المتمثل في مغادرة أحد أفراد العائلة المنزل، والمنح والاستخبار والإطلاع والخداع، والإساءة والمنع والنجدة، على سبع دوائر كبرى للفعل Sphère Fonction تقوم بها شخصيات يتمثل دورها فقط في تنفيذ تلك الوظائف، وفي هذا الصدد يشير "بروب" "إلى أن العديد من الوظائف يتجمع منطقيا ضمن حقول عمل, وتحتوي القصة على حقول العمل التالية"

1- دائرة فعل المعتدي: وتحتوي على أفعال الإساءة, وعلى الصراع ضد البطل.

2- دائرة فعل الواهب: وتشتمل على فعل المنح والعطاء، والتزويد بالأداة السحرية.

3- دائرة فعل المساعد: وتتمثل في سد حاجات البطل ونجدته، وتمكينه من تحقيق مهامه, ومساعدته على تخطي الصعاب.

4- دائرة فعل الأميرة وأبيها، أو الشخص أو الشيء المبحوث عنه، "وتحتوي على طلب القيام بمهمات صعبة(M)، والوسم بعلامة(J)، واكتشاف البطل المزيف (EX)، والتعرف على البطل الحقيقي(Q)، ومعاقبة المعتدي (U)، والزواج (W)."

5- دائرة فعل البطل: وتمثل محورا أساسيا في القصة، وتحتوي على رحيل البطل، ورحلة البحث عن المفقود، والاستجابة لمطالب المانح.

6- دائرة فعل البطل المزيف: ويوجد في هذه الدائرة أيضا رحلة للبحث وخيبة أمل المانح في هذا البطل؛ مع تميز وظيفته بالادعاء وردود الأفعال الكاذبة.

7- دائرة فعل الطالب:وتضم الانتقال وإرسال البطل.

وتسند هذه الدوائر الفعلية لأشخاص يقومون بتحريكها وإنجازها ويرتبطون بها دون انفصال عنها، وتتوزع تلك الأدوار أو حقول العمل بين الشخصيات حسب فرضيات ثلاث:

أن تخص كل دائرة فعل بشخصية تسند إليها تلك الدائرة فتتفق كل شخصية مع حقل عملها،ومثال ذلك عن دائرة فعل الواهب، تهب الريح: فالمعنى الخاص بالريح معبر عنه مرتين الأول خاص بهبوب الريح، والثاني خاص بما ستقدمه الريح أو تفعله ويتعلق بدورها في القصة وإلا ما ذكرت فيها.

أو تتحمل شخصية واحدة مسؤولية القيام بدوائر فعل متعددة، وبالتالي يتم الجمع بين عدة وظائف، ومثال ذلك "الأب الذي يرسل ابنه للبحث عن شيء ما ويزوده بهراوة، هو في الوقت نفسه طالب ومانح, أو الفتيات الثلاث اللواتي يسكن في قصور من الذهب والفضة والنحاس، ويزودن "إيفان" بخاتم سحري، ثم يتزوجنه فيما بعد، هن في الوقت نفسه مانحات وأميرات ".

أو على عكس الحالة السابقة؛ حيث تتقاسم أكثر من شخصية دائرة فعل واحدة، وهنا تقوم شخصيات متعددة بإنجاز حقل عمل واحد, كوظائف الأميرة التي تتوزع بينها وبين أبيها. أو استغناء البطل عن المساعدين؛ وهم من يكاد ينفرد بهذه الحالة، أو كأن يقوم المساعد بمهام البطل.

وقد وضع "بروب" الأفعال من جهة, والشخصيات المقابلة لها من جهة أخرى؛ ويظهران في قائمة واحدة كمبدإ أساسي لتنظيم أدوار الأفعال وتيسير برامج عملها وتحديد وظائفها.

وبهذا العمل يكون "بروب" "قد حاول تصور فكرة سيميائية من منظور رياضي غير أنه لم يعالج كيفية تتابع الوظائف، والخصائص المتعلقة بالشخصيات,

وتركيبها البدني والنفسي والفكري والاجتماعي والاقتصادي، وتطلعاتها وطموحها ودوافعها، والتغيرات من حولها"